الفصل الرابع
أساليب الدعوة

ويشتمل على مقدمة وخمسة مباحث :

١ ـ أسلوب الحكمة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٢ ـ أسلوب الموعظة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٣ ـ أسلوب المجادلة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٤ ـ أسلوب القدوة الحسنة : تعريفه ، مظاهره ، خصائصه .

٥ ـ الخصائص العامة للأساليب الدعوية .

مقدمة بين يدي أساليب الدعوة

سبق أن عرفنا أساليب الدعوة في الاصطلاح بقولنا :

« الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته » أو « كيفيات تطبيق مناهج الدعوة » . وقلنا :

إن منهج الدعوة تظهر في مجموعة الأساليب المستخدمة ، التي يجمعها نظام واحد ، فإن مجموعة الأساليب التي تحرك الشعور والوجدان ، تمثل المنهج العاطفي ، ومجموعة الأساليب التي تدعو الإنسان إلى التفكر والتدبر والاعتبار ، تمثل المنهج العقلي ، ومجموعة الأساليب التي تعتمد على الحس والتجارب الإنسانية ، تمثل المنهج الحسي ، وهكذا ...

ومن هنا : كان حصر الأساليب صعباً نظراً لتنوعها وكثرتها ، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصاً صريحاً مباشراً ، كما أشار إلى بعضها إشارة ، إلا أننا نجد لجميع الأساليب الدعوية تقريباً استخدامات في القرآن الكريم والسنة النبوية ، ولايكاد يخلو منها نص قرآني ، أو حديث نبوي .

وسنتناول في هذا الفصل أمهات الأساليب الدعوية ، سواء التي نص عليها القرآن الكريم نصاً صريحاً ، أو التي تفهم من مجموعة نصوصه ، ومن واقع التطبيق الدعوي في السنة النبوية ، وسنقتصر على أربعة منها ، ترجع إليها غيرها ، وسأجعل كل أسلوب في مبحث خاص ، أبين فيه تعريفه ، ومظاهره ، وخصائصه ، وبعض المسائل المتعلقة به ...

قال تعالى مبيناً أمهات الأساليب الأساسية :

﴿ ادْعُ إلى سبيل ربك بالحِكمةِ ،والمَوْعظة الحَسَنة ، وجادِلْهم بالتي هي أَحْسن ، إن ربك هو أَعْلَمُ بمن ضَلَّ عن سبَيله ، وهو أعلَمُ بالمهتدين * وإِنْ عاقَبْتُم فعاقِبوا بِمِثْل ما عُوقبتم به ، ولَئِنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خيرٌ للصابرين * واصبِرْ وما صَبْرُكَ إلا بالله ولاتَحْزَن عليهم ،ولاتَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكرون * إن الله مع الذين اتقوا ، والذين هم مُحْسِنون ﴾ (١) .

* * *

(١) الآيات / ١٢٥ ـ ١٢٨ / من سورة النحل .

المبحث الأول

« أسلوب الحكمة »

تعريفه :

تطلق الحكمة في اللغة على معانٍ عديدة ، منها :

العَدل ، والعلم ، والحلم ، والنبوة ، والقرآن ، والإنجيل ، والسنّة وما إلى ذلك من إطلاقات ، كما تطلق على العِلّة : يقال : حكمة التشريع ، وما الحكمة من ذلك ؟ ، وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويَجلُّ معناه ، ويقال للرجل حكيمٌ : إذا أحكمته التجارب ، وأحكم الأمر أتقنه ...[1]

وقد عرفها العلماء في الاصطلاح تعريفات كثيرة مأخوذة من المعنى اللغوي ، من ذلك :

الحكمةُ « إصابة الحق بالعلم والعقل » فالحكمة من الله تعالى : معرفةُ الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن الإنسان : معرفةُ الموجودات ، وفعل الخيرات ...[2]

ومنها : « الحكمةُ : عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم »[3]

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (حكم)(١٢/ ١٤٠ ـ ١٤٣) و « المعجم الوسيط » (١٨٩/١) .

(٢) انظر « مفردات القرآن » للراغب ص : (١٢٧) .

(٣) انظر « النهاية في غريب الحديث » (٤١٩/١) .

ومنها : « وضع الأشياء مواضعها » ، ومنها « الإصابة في القول والعمل معاً »[1] .

وفسر ابن كثير « الحكيم » بقوله : « الحكيم في أفعاله وأقواله ، فيضع الأشياء في محالها »[2] .

إلى غير ذلك من تعريفات عديدة .

ومن جملة هذه التعريفات يصبح تعريف أسلوب الحكمة بأنه الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه ، فيكون أسلوب الحكمة شاملاً لجميع الأساليب الدعوية من هذا الوجه .

أهميته وفضله :

تظهر أهمية أسلوب الحكمة ويتجلى فضله من عدة أمور ، منها :

١ ـ من معنى الحكمة الذي يجمع الحكمة النظرية والعملية ، ولايسمى الرجل حكيماً إلا باجتماع النوعين معاً [3] .

٢ ـ من اختيار الله عز وجل لنفسه اسم « الحكيم » وتكراره في القرآن الكريم مايقارب ثمانين مرة .

٣ ـ من مَلْء قلب رسول الله ﷺ بالحكمة ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« فُرِجَ سقفُ بيتي ـ وأنا بمكة ـ فنزل جبريل ، ففرج صدري ، ثم

---

(١) انظر « البحر المحيط » لأبي حيان (٣٩٣/١) .

(٢) انظر « تفسير ابن كثير » (١٨٤/١) .

(٣) انظر « غرائب القرآن » للنيسابوري (٤١٣/١) و « تفسير الرازي » (٧٣/٤) و (٧ / ٧٢) .

غسله بماء زمزم ، ثم جاء بطِسْت من ذهب ممتلئ حكمة وإيماناً ، فأفرغه في صدري ، ثم أطبقه »[1] .

٤ ـ من جعل تعليم الحكمة من أبرز أعماله ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمةَ ﴾ [2].

٥ ـ من أمر الله بالدعوة بها ، قال تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ... ﴾ [3] .

٦ ـ من جَعْلها أفضل مايعطاه المرء ، قال تعالى :

﴿ يُؤْتي الحِكمةَ من يَشاء ، ومَنْ يُؤتَ الحكمةَ فقد أُوتي خَيْراً كثيراً ﴾ [4] .

٧ ـ مِنْ كونها مما يُتحاسد عليه في الدنيا ، ففي الحديث الشريف : « لا حَسَد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً ، فسلّطه على هلكته بالحق ، ورجل آتاه الله حكمةً ، فهو يقضي بها ويعلمها »[5] .

إلى غير ذلك من أمور ونصوص تدل على فضل هذا الأسلوب وأهميته .

---

(١) الحديث : متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٤٩) (١/٤٥٨ و ٤٥٩) و « صحيح مسلم » (١٦٣) .

(٢) الآية / ١٢٩ / من سورة البقرة و / ١٦٤ / من سورة آل عمران .

(٣) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٤) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٧٣) (١/١٦٥) و « صحيح مسلم » (٢٦٨) .

مظاهره :

تتعدَّدُ مظاهر أسلوب الحكمة وتكثُر نظراً لأن الحكمة السداد في القول والعمل ،

لذا ، سنحاول الوقوف على مظاهر أسلوب الحكمة في الدعوة من عدة جوانب ، وهي :

أ ـ مظاهر الحكمة في جانب المناهج الدعوية .

ب ـ مظاهر الحكمة في جانب الأساليب الدعوية .

جـ ـ مظاهر الحكمة في جانب الوسائل الدعوية .

أ ـ من مظاهر الحكمة في جانب المناهج : من ذلك :

١ ـ ترتيب الأولويات ، وتقديم الأهم على المهم : فلا يُعدُّ المنهج الدعوي منهجاً حكيماً إذا لم يرتب الأولويات في الخطة ، ويقدم الأمر الأهم على الأمر المهم ، كأن يقدم أمور العقائد على غيرها من العبادات والأخلاق ، ويقدم الفروض على المندوبات والنوافل ، والمحرمات على المكروهات ، والمصالح العامة على المصالح الخاصة عند التعارض ، ويقدم الضروريات على الحاجيات والتحسينيات ، ودرء المفاسد على جلب المصالح وهكذا ...[1]

ويدل على هذا الواقع العملي للدعوة الإسلامية في الصدر الأول ، حيث بدأت الدعوة بتأسيس العقيدة ، ثم انتقلت إلى بيان الشريعة

---

(١) راجع هذا الموضوع في كتاب « أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة » للدكتور يوسف القرضاوي ، وبحث « الإحكام بين مراحل العمل في دعوة الإسلام » د : يوسف محيي الدين أبو هلالة ، و « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٤٨/٢٠ ـ ٦١) ، و « حياة الصحابة » للكاندهلوي (١٢٣/١ ـ ١٢٥) .

والأحكام ... كما يدل عليه حديث معاذ رضي الله عنه ، وكيف علمه الرسول ﷺ أن يبدأ بالإيمان ثم بالصلاة ، ثم بالزكاة وهكذا...[1]

٢ ـ التدرج في تطبيق الأولويات ، ولاسيما في معالجة الأشخاص والأوضاع العامة ، وذلك كما كان حال القرآن الكريم في تنزله ، وكما أخبرت عنه عائشة رضي الله عنها ، وكما فعل الخليفة عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه في إصلاح الأوضاع العامة في زمنه[2] .

٣ ـ مناسبة المنهج للأحوال والأعمار والمستويات : فلا يُعدُّ المنهج حكيماً إذا ساوى بين حالة الضعف وحالة القوة ، أو بين حالة السلم أو الحرب ، أو حالة عموم البلوى بالشيء وغيرها ، كما لايعد حكيماً إذا لم يفرق بين الكبير والصغير ، والمرأة والرجل ، ولا بين العالم والجاهل ، والعدو والصديق ، والحاكم والمحكوم ... وما إلى ذلك من أحوال ومستويات تقتضي التفريق ...

ففي الحديث الشريف :

« ياعائشة لولا قومك حديثٌ عهدهم ـ قال ابن الزبير ـ بِكُفْر ، لنقضتُ الكعبة فجعلتُ لها بابين : باب يدخل الناس ، وباب يخرجون »[3].

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (١٤٥٨) (٣٢٢) و « صحيح مسلم » (١٩) .

(٢) سبق ذكره في بحث « خصيصة التدرج » في الخصائص العامة للمناهج الدعوية ، وانظر بحث « التدرج بين التشريع والدعوة » للدكتور يوسف محيي الدين أبو هلالة .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٢٦ و ١٥٨٣ و ١٥٨٤ و ١٥٨٥) (٢٢٤/١) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٨٨/٩) .

وقد خَصَّ الإمام البخاري في صحيحه باباً لهذا الحديث وأمثاله ، وترجم له بقوله :

« باب مَنْ تَرَكَ بعض الاختيار مخافةَ أن يقَصُر فهمُ بعض الناس عنه ، فيقعوا في أشدَّ منه »[1] .

وجاء في الحديث أيضاً :

« أنزلوا الناس منازلهم »[2] .

إلى غير ذلك من مظاهر لاتخفى على الداعية الحكيم[3] .

ب ـ من مظاهر الحكمة في جانب الأساليب : من ذلك :

١ ـ اختيار المنهج المناسب لتطبيقه في الموقف المناسب والحالة المناسبة ، فقد يصلح لحالة من الأحوال ، أو لمعالجة موقف من المواقف منهج لايصلح غيره ، فلابد من اختيار المنهج العاطفي للموقف العاطفي ، والمنهج العقلي للموقف الجدلي ، والمنهج الحسي للموقف التجريبي وهكذا .

ومن هنا استخدم ﷺ كلاً من المنهج العاطفي والمنهج العقلي معاً مع الشاب الذي جاء يستأذنه بالزنا ، فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي أمامة رضي الله عنه ، قال : إن فتىً شاباً أتى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ائذن لي بالزنا ، فأقبل القوم عليه فزجروه ، وقالوا : مَهْ مَهْ ،

---

(١) « صحيح البخاري مع الفتح » (١/٢٢٤) . وانظر عدة أحاديث تدل على هذه الحكمة ساقها الإمام البخاري تحت هذه الترجمة .

(٢) سبق تخريجه في بحث « آداب الداعية » ص / ١٦٦ / .

(٣) راجع كتاب « دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً » للدكتور عبد الله الرحيلي ، نشر دار القلم .

فقال : « ادنه » فدنا منه قريباً فجلس ، قال : أتحبه لأمك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأمهاتهم ، قال : أفتحبه لابنتك ؟ قال : لا والله يارسول الله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لبناتهم . قال : أفتحبه لأختك : قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لأخواتهم . قال : أفتحبه لعمتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لعماتهم ، قال : أفتحبه لخالتك ؟ قال : لا والله جعلني الله فداءك ، قال : ولا الناس يحبونه لخالاتهم ، قال : فوضع يده عليه ، وقال : « اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحَصِّنْ فرجه » فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء »[1] .

فقوله ﷺ للشاب « ادنه » وتقريبه منه ، ووضع يده عليه ، ودعاؤه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان ، ويأسر القلوب ، ومناقشته ﷺ للشاب باستخدام القياس المساوي ، ومجادلته له بالحسنى ... من أساليب المنهج العقلي . فاستخدام هذين المنهجين معاً في هذا الموقف مظهرٌ من مظاهر حكمته البالغة ﷺ في الأساليب .

ذلك لأن مجيء الشاب المسلم إلى رسول الله ﷺ مستئذناً بالزنا ، يدل على أنه شاب ضعيف ، اختل توازنه ، واضطربت شخصيته ، ودفعته غريزته إلى الزنا ، فكان إيمانه حاجزاً له ، ودافعاً له على الاستئذان بالزنا ، والاستئذان بالزنا دليلٌ ناطق بالحالة المرَضيّة فيه من جهة ، وبجانب الخير في الشاب من جهة أخرى ، وإلا لذهب وزَنَى كما يزني

(١) « مسند أحمد » (٥/٢٥٦ و ٢٥٧) وسبق تخريجه في أساليب المنهج العقلي ص / ٢٠٩ / .

غيره ، فاقتضى هذا التشخيص الدقيق منه ﷺ لحالته النفسية استيعابه كل الاستيعاب ، واستخدام كلا المنهجين معه ، حتى أنقذه مما هو فيه ، وأعاده إلى التوازن والصواب .

٢ ـ اختيار الشكل المناسب من أشكال أساليب المنهج المختار ، فإن أشكال الأساليب الدعوية للمنهج الواحد متعددة ، والحكمة تقتضي اختيار الشكل المناسب لكل موقف ، فما يُقال في الأفراح يختلف عما يقال في الأتراح ، وما يقال في الشدة غير ما يقال في الرخاء ، وللترغيب موطن يغاير موطن الترهيب ، فمن غلب عليه الخوف مثلاً يستخدم معه أسلوب الترغيب والرجاء ، ومن غلب عليه الرجاء والأمل ، يستخدم معه أسلوب الترهيب والتحذير ... وهكذا .

ومن هنا : اختلف أسلوب رسول الله ﷺ مع الأعرابي الذي جاء مسترخصاً سائلاً عن الواجبات والفرائض ثم قال : « والله لا أزيد على هذا ولا أنقص »[1] عن موقفه مع فقراء المسلمين الذين جاءوا يستزيدون من الخير فقالوا : « ذهب أهل الدثور بالأجور ... »[2] .

كما اختلف أسلوبه ﷺ في الجهر بالدعوة عن أسلوبه حال الاختفاء في دار الأرقم ابن أبي الأرقم ، وموقفه في غزواته عن موقفه يوم صلح الحديبية ،

---

(١) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٤٣) و « الفتح » (١٠٦/١) .

(٢) الحديث : رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (١٠٠٦) .

وانظر أسلوب معالجته ﷺ للغيرة بين نسائه [1] ، وماإلى ذلك من أساليب متنوعة [2] .

٣ ـ اعتماد مراتب الاحتساب ، وهي : التعريف ، ثم الوعظ ، ثم التعنيف ، ثم استعمال اليد ، ثم التهديد ، ثم الضرب ... [3]

قال تعالى :

﴿ واللاّتي تَخافون نُشوزَهُنَّ ، فَعِظوهُنَّ ، واهجروهُنَّ في المضاجع واضْرِبوهُنَّ ... ﴾ [4] ، وجاء في الحديث الشريف :

« من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » [5] .

فقد أشارت الآية الكريمة إلى مراتب الاحتساب وتغيير المنكر ، كما صرح الحديث الشريف بدرجات تغييره ، فبدأ بأقوى درجات التغيير له ثم بالأدنى فالأدنى ، فلا تعارض بين ملاحظة درجات التغيير ، وبين اعتماد مراتبه مرتبةً مرتبة ، فعلى الداعية والمحتسب عند قيامه بدرجة من درجات التغيير أن يلاحظ ترتيب المراتب ، وإنْ تجاوز هذه المراتب

---

(١) الحديث في صحيح البخاري انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٤٨١) و (٥٢٢٥) ، و « الفتح » (١٢٤/٥) و (٣٢٠/٩) .

(٢) انظر أسلوبه ﷺ في التعامل مع خبر نقض بني قريظة للعهد يوم الأحزاب في « سيرة ابن هشام » (٣٢/٣) .

(٣) انظر « فقه الدعوة في إنكار المنكر » لعبد الحميد البلالي ص (٦٧ ـ ٧٤) ، وراجع « إحياء علوم الدين » للغزالي (١٢٢٦/٧ ـ ١٢٣٣) طبعة كتاب الشعب ، و « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » للشَيْزري ص : ٩ .

(٤) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

(٥) رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٤٩) .

يُعدّ خروجاً عن الحكمة في الدعوة والاحتساب [1] ، انظر أسلوب معاذ ابن عمرو بن الجموح رضي الله عنه في دعوة أبيه ، واحتسابه عليه ، وأسلوب ابن رواحة في دعوة أبي الدرداء إلى الإسلام رضي الله عنهم جميعاً [2] .

٤ ـ البحث عن الدوافع والأسباب لملاحظتها في اختيار أسلوب المعالجة : فإن أسلوب معالجة الجاهل يختلف عن أسلوب معالجة العدو ، وأسلوب معالجة الضعيف المقصر يختلف عن أسلوب معالجة المعاند المتعصب ، وهكذا ...

وهذا الاختلاف يقتضي تشخيص الداعية لكل حالة على حدة ، ولابد في هذه الحال من مراعاة مايلي :

أ ـ الأصل في تشخيص الداعي حُسْنُ الظن بالمسلم ، والحذر من العدو .

ب ـ يخفي الداعية التشخيص في نفسه ، ويخطط للمعالجة على ضوئه ، ولا يواجه صاحبه به ، لأن المواجهة به لاتخلو من سلبية سواء أكان التشخيص الذي وصل إليه صواباً أم خَطأ .

جـ ـ اختيار الأسلوب المناسب للتشخيص الذي وصل إليه .

٥ ـ مراعاة اختلاف الظروف والأحوال الدعوية الفردية والجماعية : فإن الأساليب الدعوية تختلف من ظرف إلى ظرف ومن حال إلى حال ، فأسلوب العمل الدعوي مثلاً في دولة مسلمة أو « مُسالِمَة » يختلف عن أسلوب العمل الدعوي في دولة غير مسلمة أو محاربة ،

---

(١) راجع كتاب « الحسبة في الإسلام » لابن تيمية ، ففيه فوائد عديدة في هذا المجال .

(٢) راجع « حياة الصحابة » (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣) .

فإن من الحكمة في الدولة المسلمة والمسالمة أن يُعمل فيها من خلال المؤسسات الرسمية القائمة فيها ، والمؤسسات الشعبية التي تقرها وتعترف بها ، ولايحسن العمل فيها من خلال المؤسسات الأخرى والتنظيمات السريّة . التي قد يصلح العمل من خلالها في الدول غير الإسلامية ، أو الدول المحاربة للدعوة الإسلامية .

وذلك : لأن من واجب الدعاة تجاه الدولة المسلمة القائمة : المحافظة عليها ، والعمل على إصلاحها وتقويتها مهما كانت ضعيفة ، أو ظالمة أو فاسقة ... أما واجبهم في حال عدم وجودها : فهو العمل على إيجادها .

والعمل السرّي في الدولة المسلمة مهما كان صالحاً ، تزيد سلبياته على إيجابياته ، وقد يجر الدعاة إلى مواقف محرجة هم في غنىً عنها ، ويوقع الأفراد العاملين في ازدواجية السمع والطاعة نحو قياداتهم ، وتُفْهَمُ دعوتهم على أنها معارضة ومقاومة للدولة المسلمة ، وليست لها ولا من أجلها ... فتعمل الدولة المسلمة نفسها على تحجيمها ومحاربتها ، بدلاً من دعمها وتقويتها ...

وقد أخطأ الحكمة كثيرٌ من الدعاة في هذا الجانب ، فصوروا الدعوة الإسلامية بالصورة المعادية للدول القائمة مهما كان شأنها دون تفريق بين دولة وأخرى ، فكثروا بذلك من أعدائهم ، وقلّلوا من أصدقائهم ، واختاروا العيش بدعوتهم في الظلام ، مما نَفَّر منها ، وقَلَّل من آثارها في حياة الناس ...

ومما يَجْدُر التنبهُ إليه في هذا المقام : أنَّ الحكمَ على الدولة بكفر أو إسلام ، وبِظُلْمٍ أو فِسْق ، وبِحَرْبٍ أو مسالمةٍ ، وتحديدَ الموقف منها ،

وتَبَنِّي الأسلوب المناسب مَعَها ، لايُتْرك للأفراد والجماعات كلٌ يَحْكمُ بحسب اجتهاداته ومرئيّاته ، فتختلفُ اجتهاداتُهم ، وتتعارَضُ أساليبهم ... بَلْ يُرْجَعُ فيه إلى أهل الحَلِّ والعقد في الأمة مجتمعين ، فَهمُ وَحْدَهم الذين يَقْدرون للأمر قَدْره ، ويُبيِّنون للوضع حُكْمَه ، مُنْطلقين في ذلك من القواعد الشرعية المنضبطة ، والموازنات الدعوية الدقيقة ، فَيَرْتَفعُ بحكمهم الخلاف ، وتُؤمَنُ به الاضطراباتُ والفوضى في الأمور العامة ، وتُؤتي الدعوة ثمارَها بإذن الله .

جـ ـ من مظاهر الحكمة في جانب الوسائل الدعوية :

١ ـ في الوسائل المعنوية : وهي « الأخلاق الكريمة ، والصفات الحميدة » :

أ ـ اهتمام الداعية بها ، وحرصه عليها ، ومجاهدة نفسه فيها .

ب ـ اختيار الخلق المناسب للموقف المناسب ، وذلك بحسب الأحوال والمواقف ، فمن رفق ولين إلى شدة وعنف ، ومن عَفْوٍ وصفح إلى قوة وبطش ، فقد وصف الله عز وجل عباده المؤمنين بقوله :

﴿ أشِدَاءُ على الكفار ، رُحَمَاء بَيْنهم ... ﴾ [١] وقوله :

﴿ أذِلَّةٍ على المؤمنين ، أعِزَّةٍ على الكافرين ... ﴾ [٢] ، فليس من الحكمة في شيء وضع الشدة موضع اللين أو العكس .

٢ ـ في الوسائل المادية :

أ ـ استعمال الداعية كل وسيلة مباحة مُتَيسِّرة متوفرة في عصره أياً كان مصدرها وصانعها ، وذلك شكراً لله على توفيرها له ، ومبالغة في القيام بدعوته ووظيفته .

---

(١) الآية / ٢٩ / من سورة الفتح .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة المائدة .

ب ـ اجتناب كل وسيلة محرمة أو مكروهة : لأن للوسائل حكم الغايات ، والغاية لاتبر الوسيلة في الدعوة الإسلامية .

جـ ـ تجريد الوسيلة المَشُوبَه وهي :(التي اختلط فيها الحلال بالحرام) عما شابها ، واستعمالها بعد تجريدها ـ كما فعل ﷺ في وسيلة « النذير العريان » وسيأتي معنا تفصيل ذلك في فصل (الوسائل الدعوية) إن شاء الله .

د ـ التوسُّعُ والترخُّص باستعمال الوسيلة « المُخْتَلَفِ في حُكْمها » في حالة الضرورة أو الحاجة الملحة ، والمصلحة الدعوية العامة ، والتورع عن استخدامها في غير ذلك من أحوال ، وسيأتي تفصيل ذلك أيضاً في بحث الوسائل .

هـ ـ الترقّي بالوسيلة الدعوية لتكون مكافئةً للدعوة ، ومتفوقة على وسائل العدو ، قال تعالى :

﴿ وأَعِدّوا لهم مااسْتَطَعْتُم من قُوَّةٍ ، ومِنْ رِبَاط الخَيْل تُرْهِبُون به عَدُوَّ الله وعَدُوَّكم ... ﴾ [1] ، وإرهاب العدو يكون بوسيلة مكافئة للمهمة ، متفوقة على ما عند العدو .

من خصائص أسلوب الحكمة :

١ ـ إمكان تعلمه واكتسابه ، لأن الحكمة خلق حَسَنٌ وصفة كريمة يمكن اكتسابها كأي صفة من الصفات وخلق من الأخلاق ، قال تعالى :

﴿ ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمة ﴾ [2] وفي الحديث :

---

(١) الآية / ٦٠ / من سورة الأنفال .

(٢) الآيات / ١٢٩ و ١٥١ / من سورة البقرة و / ١٦٤ / من آل عمران .

« يقضي بها ويعلمها »[1] .

ومن أساليب تعلمها واكتسابها :

أ ـ قراءة القرآن والسنة النبوية ، والسيرة الكريمة قراءة تدبر وتفكر وتأسّي .

ب ـ صحبة الحكماء والاقتباس منهم ومن سيرتهم .

جـ ـ العمل بها وتطبيقها في مجالات الدعوة ، ومجاهدة النفس عليها .

د ـ الاستفادة من التجارب الدعوية الشخصية وغيرها . وما إلى ذلك .

٢ ـ عظيم آثاره في الدعوة ، فالداعية الحكيم يصل إلى مالا يصل إليه غيره ، من ذلك :

أ ـ الوصول إلى الأهداف من أقرب طريق ، وبأكثر النتائج ، وأقل الخسائر ...

ب ـ تقريب القلوب من الدعوة والدعاة ، وإزالة الشحناء والبغضاء ..

قال تعالى :

﴿ ادفَعْ بالتي هي أحْسَن ، فإذا الذي بينَك وبينَهُ عداوةٌ ، كَأَنَّهُ وليٌّ حَميم * ومايُلَقَّاها إلا الذين صَبَروا ، ومايُلَقَّاها إلا ذو حَظٍّ عظيم ﴾[2]. وما إلى ذلك من آثار طيبة[3] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص / ٢٤٦ / .

(٢) الآيات / ٣٤ ـ ٣٥ / من سورة فصلت .

(٣) راجع كتاب « الحكمة وأثرها في الدعوة إلى الله » بحث مكمل لدرجة الماجستير في قسم الدعوة في المعهد للباحث (علي أحمد مشاعل)، وكتاب « رؤى على طريق الدعوة » للدكتور عبد القادر طاش ، و « هكذا علمتني الحياة » للسباعي ، و مذكرات الدعاة بوجه عام .

المبحث الثاني

« أسلوب الموعظة الحسنة »

تعريفه :

الموعظة في اللغة : مشتقة من : وعَظه يعظه وعْظاً ، وعِظةً : نصحه وذكرّه بالعواقب ، وأمره بالطاعة ووصاه بها ...[1]

والحسنة : مقابل السيئة ، فالموعظة قد تكون حسنة وقد تكون سيئة ، وذلك بحسب مايعظ به الإنسان ويأمر به ، وبحسب أسلوب الواعظ .

ومن هنا جاء الأمر بها مقيّداً في القرآن الكريم ، قال تعالى :

﴿ ادْعُ إلى سَبيل ربك بالحِكْمة ، والمَوْعظة الحَسَنة ... ﴾[2] ، فإذا أطلقت الموعظة في مقام الأمر بها ، انصرفت إلى الحسنة ، قال تعالى :

﴿ فَعِظوهُنَّ ، واهْجروهُنَّ في المضَاجِعِ واضربوهُنَّ ... ﴾[3] .

والموعظة الحسنة في الاصطلاح الدعوي ، ترادف النصيحة ، ولها أشكال عديدة ، فمن أشكالها :

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (وَعَظ)(٤٦٦/٧) و « المعجم الوسيط » (١٠٥٥/٢) .

(٢) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

١ ـ القول الصريح اللطيف اللين ، قال تعالى : ﴿ وقولوا للناس حُسْناً ﴾ [١] .

٢ ـ الإشارة اللطيفة المفهومة .

٣ ـ التعريض ، والكناية المؤدّية ، والتّوْرية .

٤ ـ القصّةُ ، والخطابة المؤثرة ، والفكاهة ...

٥ ـ التذكير بالنعم المستوجبة للشكر .

٦ ـ المدْحُ والذم .

٧ ـ الترغيب والترهيب .

٨ ـ الوعد بالنصر والتمكين .

٩ ـ التحمُّل والصبر ...

وما إلى ذلك من أساليب مباشرة وغير مباشرة تؤثر بالمدعوين ، وتدفعهم إلى الطاعة والاستجابة ...[٢]

وفي القرآن الكريم ، والسنة النبوية أمثلة كثيرة لجميع هذه الأشكال ، لاتخفى على المستدل .

أهميته وفضله :

تظهر أهمية أسلوب الموعظة الحسنة من أمور عديدة ، منها :

---

(١) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .

(٢) راجع بحث : « الدروس الدعوية في السنن الفعلية في صحيح الإمام مسلم » الذي قدمه الباحث : مرزوق بن سليم اليوبي ، بإشرافي لنيل درجة الماجستير من قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي عام ١٤١١ هـ ، من ص : (٣٣ ـ ٤١) .

١ ـ أمر الله الصريح باستعماله ، قال تعالى : ﴿ ادْعُ إلى سبيل ربك بالحِكْمة والمَوْعظة الحَسَنة ... ﴾ [١] وقال : ﴿ فقولا له قولاً لَيّناً لعَلّه يتذكّرُ أو يَخْشى ﴾ [٢] وقال : ﴿ وقولوا للناس حُسناً ﴾ [٣] وقال : ﴿ وعِظْهم وقُلْ لهم في أنْفُسِهم قولاً بَليغاً ﴾ [٤] .

٢ ـ جَعْلُ رسول الله ﷺ (النصيحة) أساس الدين ، فقال : « الدين النصيحة » [٥] والنصيحة مرادفة للموعظة الحسنة كما سبق .

٣ ـ مبايَعةُ الرسول ﷺ الصحابة عليها ، ففي الحديث : « بايعت رسولَ الله ﷺ على إقامة الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم » [٦] .

٤ ـ استخدام جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لها ، فقد أخبر تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال :

﴿ ... وأَنْصَحُ لكم ... ﴾ [٧] ، وعن هود عليه السلام قوله :

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤٤ / من سورة طه .

(٣) الآية / ٨٣ / من سورة البقرة .

(٤) الآية / ٦٣ / من سورة النساء .

(٥) الحديث رواه مسلم وغيره ، وسبق تخريجه .

(٦) الحديث : متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٧٢٠٤) و (٥٧ و ٥٨) (١٣٧/١ و ١٣٩) (١٩٣/١٣) ، و « صحيح مسلم » (٥٦) .

(٧) الآية / ٦٢ / من سورة الأعراف .

﴿ وأنَا لكم ناصحٌ أمين ﴾ [1] .

وما إلى ذلك ...

من خصائص أسلوب الموعظة الحسنة :

لأسلوب الموعظة الحسنة خصائص ومزايا كثيرة ، منها :

١ ـ لُطفُ عباراته وألفاظه ، ومناسبتها للمقام ، فلابد للموعظة الحسنة من عبارة لطيفة مناسبة .

٢ ـ تنوع أشكاله وكثرتها ، فيتمكن الداعية من اختيار الشكل الأنسب لكل حال وموقف .

٣ ـ عِظَمُ آثاره في نفوس المدعوين ، ويظهر هذا فيما يلي :

أ ـ قبول الموعظة ، وسرعة الاستجابة إليها غالباً .

ب ـ غرس المحبة والمودة في قلوب المدعوين .

جـ ـ محاصرة المنكرات والقضاء على انتشارها ، بحيث يخجل الناس ـ إذا لم يستجيبوا ـ ممن يعظهم موعظة حسنة ، فلا يجاهرون بمنكراتهم على الأقل .

وما إلى ذلك من آثار لاتخفى على الداعية ، ومن أمثلة ذلك :

١ ـ استخدامه ﷺ لهذا الأسلوب مع الأعرابي الذي بال في المسجد ، ففي الحديث الشريف :

« عن أنس رضي الله عنه قال : بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ ، إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد ، فقال أصحاب

---

(١) الآية / ٦٨ / من سورة الأعراف .

رسول الله ﷺ : مَهْ ، قال ﷺ : لا تُزْرِموه ، دَعُوه ، فتركوه حتى بال ، ثم إن رسول الله ﷺ دعاهَ فقال له : إن هذه المساجد لاتصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن ، أو كما قال رسول الله ﷺ ، قال : فأمر رجلاً من القوم فجاء بَدَلْو من ماء فشنَّه عليه »[1] .

٢ ـ موقفه ﷺ يومَ حُنَيْن ، حين قسم الغنائم فَوَجَدَ الأنصار في أنفسهم شيئاً ، فقامَ فيهم خطيباً ، وذكرَّهم بنعمة الله عليهم ، ووعظهم موعظة حسنة ... »[2] .

* * *

(١) الحديث : متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٢٢١ و ٦١٢٨) (١/٣٢٤) و (١٠/٥٢٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٣/١٩٦) .

(٢) الحديث : متفق عليه : انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٧٧٩ و ٤٣٣٠ و ٧٠٥٢ و ٧٢٤٤ و ٧٢٤٥) و « فتح الباري » (٧/١١٢) و (٨/٤٧) و (١٣/٥ و ٢٢٥) ، و « صحيح مسلم بشرح النووي » (٧/١٦٣) .

المبحث الثالث

« أسلوب المجادلة »

تعريفه :

يُقال في اللغة : جادَلَهُ مجادلة وجدالاً : ناقَشَهُ وخاصمه ، والجَدَل : اللَّدَدُ في الخصومة والقدرةُ عليها ، وهو شدة الخصومة ، وفي الحديث : ما أوتي الجَدَل قومٌ إلا ضَلّوا ؛ والجَدَل : مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة : المناظرة والمخاصمة ...[1]

والجَدَلُ في الاصطلاح، عرفه العلماء تعريفات متشابهة ، منها قولهم :

« عبارة عن دَفْع المرء خَصْمَهُ عن فساد قوله بحجة أو شبهة »[2] .

ومنها :

« مِرَاءٌ يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها »[3] ، ومنها :

« مقابَلَةُ الأدلة لظهور أرجحها »[4] .

وقد تكون المجادلة بالحسنى ، وقد تكون بالباطل ، قال تعالى : ﴿ وجَادِلْهم بالتي هي أحسن ﴾[5]، وقال : ﴿ وجَادَلوا بالباطل

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (جَدَل)(١١/١٠٥) و (المعجم الوسيط)(١/١١١) .

(٢) انظر « الكليات » لأبي البقاء ص : (١٤٥) .

(٣) انظر « التعريفات » للجرجاني ص : (٦٦) .

(٤) انظر « المصباح المنير » ص : (١٢٨) .

(٥) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

ليُدْحضَوا به الحقَّ ... ﴾ [1].

ومن هنا قسم العلماء الجدل إلى ممدوح ومذموم ، وذلك بحسب الغاية منه ، وبحسب أسلوبه ، وبحسب مايؤدي إليه ،

فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق ونصرته ، ويكون بأسلوب صحيح مناسب ، ويؤدي إلى خير ، فهو « الجدل الممدوح »

والجدل الذي لايهدف إلى ذلك ولم يسلم أسلوبه ، ولايؤدي إلى خير ، فهو « الجدل المذموم » [2] .

ولذا ، جاء الأمر به في القرآن مقيداً بالتي هي أحسن [3]، وكانت المجادلة بالحسنى أسلوباً من أساليب الدعوة إلى الله ، نَصَّ عليه القرآن الكريم وأمر به ، ويُعدُّ من أبرز أساليب المنهج العقلي ـ كما سبق ـ ويمكن أن يُعبَّر عنه (بالمناقشة ، والمناظرة ، والمحاورة ، وما إلى ذلك من مصطلحات متعددة تتفق في كثير من المواطن في دلالاتها .

ويرى بعض العلماء أن (الجدل) لايُعدُّ أسلوباً دعوياً أصلياً ، وإنما قد يحتاج إليه ، فيكون من باب « دَفْع الصائل »[4]، وذلك نظراً لأصل معناه وحقيقته ، واستئناساً بأسلوب الآية الآمرة بالجدل ، حيث عَطَفَ الله عز وجل المجادلة على الدعوة ، ولم يعطفها على الموعظة الحسنة ، فقال سبحانه :

---

(١) الآية / ٥ / من سورة غافر .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢٣٣/١ ـ ٢٣٥) .

(٣) انظر الآيات / ١٢٥ / النحل ، و / ٤٦ / العنكبوت .

(٤) قف على رأي الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في هذا ، في كتابه « الرد على المنطقيين » ص (٦٤٧ ـ ٦٤٨) ، و « مجموع فتاوى ابن تيمية » (٤٥/٢) .

﴿ ادعُ إلى سَبيل ربك بالحِكْمةِ والمَوْعظة الحَسَنة ، وجادِلْهم بالتي هي أَحْسَن ﴾ [1] .

ولايترتب على هذا الخلاف في نظري أثر عملي ، فمن حكمة الداعية أن يستخدم كل أسلوب في موضعه المناسب له ، فلا يستخدم أسلوب الجدل إلا مع المجادل الذي ينفع معه الجدل ، أما من يستجيب للموعظة الحسنة ، فلا سبيل إلى مجادلته أصلاً ، وكم من جَدَلٍ يخلو من المخاصمة ، ولايمكن اعتباره من باب دفع الصائل ، والله أعلم ! !

أهميته :

تظهر أهمية أسلوب الجدل في الدعوة إلى الله من عدة أمور ، منها :

١ ـ (الجَدَل) أمْرٌ فِطريّ ، جُبِل عليه الإنسان ، يصدر من الصالح والطالح ، والكبير والصغير ، والرجل والمرأة ، قال تعالى :

﴿ وكانَ الإنْسانُ أكثَرَ شيءٍ جَدَلاً ﴾ [2] . وقال عن المؤمنين معاتباً :

﴿ يُجادِلونَكَ في الحقِّ بَعْدَ ما تبيَّن ... ﴾ [3] ، وقال : ﴿ قد سَمِعَ اللهُ قَوْلَ التي تُجادِلُك في زوجها ... ﴾ [4] .

والأمور الفطرية لابد للداعية من ملاحظتها ومراعاتها في دعوته .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٥٤ / من سورة الكهف .

(٣) الآية / ٦ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ١ / من سورة المجادلة .

٢ ـ أَمْرُ الله باستخدامه ، فقال تعالى :

﴿ وجادِلْهم بالتي هي أحْسن ﴾ [١] وقال : ﴿ ولاتُجادِلوا أهلَ الكتاب إلا بالتي هي أحَسن ... ﴾ [٢].

٣ ـ استخدام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام للجدل في دعوتهم ، قال تعالى :

﴿ قالوا : يانوحُ قَدْ جَادَلْتَنا فأَكْثَرْتَ جِدالنا ... ﴾ [٣]، وقال :

﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيم في ربّه ... ﴾ [٤] ، وقال :

﴿ حتى إذا جاؤوك يُجادِلونَك ... ﴾ [٥] .

٤ ـ اهتمام الدعاة به من زمن الصحابة رضوان الله عليهم إلى يومنا هذا ، وما نقل عن بعض السلف من ذم الجدل ، فهو محمول على الجدال المذموم ، أو الجدال في القرآن الكريم وآياته البينات [٦] .

من آداب الجدل والمناظرة :

لأسلوب الجدل آداب عديدة منها مايتعلق بدوافعه وأسبابه ، ومنها مايتعلق بأسلوبه وكيفيته ، ومنها مايتعلق بآثاره ونتائجه .

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤٦ / من سورة العنكبوت .

(٣) الآية / ٣٢ / من سورة هود عليه السلام .

(٤) الآية / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(٥) الآية / ٢٥ / من سورة الأنعام .

(٦) راجع في هذا « الفقيه والمتفقه » (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥) ، و « جامع بيان العلم وفضله » (٢/ ٩٢ ـ ١٠٨) .

وقد تعددت أساليب العلماء في ذكر هذه الآداب والتنبيه إليها ، فمنهم من يجمل ومنهم من يفصل ، وجميع الآداب التي ذكرها العلماء تتضافر على تحقيق ثلاثة أمور أساسية ، وهي :

أ ـ تصحيح الهدف والغاية من الجدال .

ب ـ تصحيح الأسلوب والشكل .

جـ ـ تصحيح النتيجة ، وسلامة الآثر .

وقد أوصلها الخطيب البغدادي ـ رحمه الله ـ إلى مايقارب ثلاثين أدباً [1] ، وأفردها بعض الكاتبين في رسائل خاصة [2] .

من خصائص أسلوب الجدل :

لأسلوب الجدل خصائص ومزايا عديدة ، منها :

١ ـ اعتماده على العلم والمعرفة ، فلا يصح الجدال من غير علم ، وقد أنكر القرآن على الذين يجادلون بغير علم ، فقال :

﴿ ياأهلَ الكتابِ لِمَ تُحاجُّون في إبراهيمَ ، وما أُنْزِلَتِ التوراة والإنجيلُ إلا مِنْ بَعْده ، أفَلا تَعْقلون ! * ها أنتم هؤلاء

---

(١) انظر « الفقيه والمتفقه » (٢/٢٥ ـ ٣٨) ، و « إحياء علوم الدين » (١/٤٢ ـ ٤٥) و (١١٦ و ١١٨) .

(٢) انظر رسالة « الآداب في علم أدب البحث والمناظرة » للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، و « آداب البحث والمناظرة » للشيخ محمد الأمين الشنقيطي ، ورسالة « في أصول الحوار » صادرة عن الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، و « قواعد في أصول الحوار ورد الشبهات » للدكتور عبد الله الرحيلي .

حاجَجْتُم فيما لكم به عِلْم ، فَلِمَ تُحاجّون فيما لَيْس لكم به عِلْم ... ! ﴾ (١).

٢ ـ إقامة الحجة على الخصم وإفحامه : فالأصل في أسلوب الجدل أن يقيم الحجة واضحة ، ولايترك للمجادل حجة يتمسك بها ، أو شبهة يستدل بها على باطله ، قال تعالى :

﴿ ألَم تَرَ إلى الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربِّه أَنْ آتاهُ الله المُلْكَ ، إذ قال إبراهيم ربِّي الذي يُحيي ويُميت ، قال أنا أُحْيي وأُميت ، قال إبراهيم : فإن الله يَأْتي بالشمس من المَشْرق فَأْتِ بها من المغرب ، فَبُهِتَ الذي كفر ، والله لايهدي القوم الظالمين ﴾ (٢) .

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ :

« فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم ، لم يكن أعطى الإسلام حقه ، ولا وفّى بموجب العلم والإيمان ، ولا حصل بكلامه شفاء الصدرور وطمأنينة النفوس ، ولا أفاد كلامه العلم واليقين ... » (٣) .

٣ ـ تنوع بواعثه ودوافعه تنوعاً كبيراً ، فمنها :

أ ـ بواعث نفسية : كالقناعة الشديدة بفكرة ما ، أو التعجب

---

(١) الآيات / ٦٥ ـ ٦٦ / من سورة آل عمران .

(٢) الآية / ٢٥٨ / من سورة البقرة .

(٣) « درء تعارض العقل والنقل » (٣٥٧/١) .

والاستغراب من أمر ما ـ كما حدث من جدال الملائكة لله عز وجل في خلق آدم وجعله خليفة [1]، وتعجب المشركين من الدعوة إلى التوحيد ...[2] إلى غير ذلك من بواعث نفسية : كالكبر والاستعلاء والحسد ، ـ كما حدث لإبليس[3] ـ أو الاستهزاء والسخرية بالحق وأهله [4] ، أو الخوف من الشيء وكراهيته ، ـ كما حدث لبعض المؤمنين يوم بدر [5] ـ أو الرغبة في تشويه الحقائق ...[6] وما إلى ذلك .

ب ـ بواعث علمية : كالاستفادة والسؤال عما يُجْهل ، ومناقشة الأدلة والترجيح بينها ، أو دفع الشبهات المثارة حول موضوع من الموضوعات ...

جـ ـ بواعث اجتماعية : كالتحمس والتعصب لقول أو رأي أو مذهب ، أو للتمسك بما كان عليه الآباء والأجداد ... وما إلى ذلك ...

وهذا التنوع في البواعث يجعل من مهمة الداعية التعرف عليها ، ليعلم كيف يتعامل مع أصحابها ـ وقد سبق أن أشرنا إلى هذا في مظاهر الحكمة في الأساليب الدعوية ، وإن القرآن الكريم والسنة النبوية مليئان بنماذج عديدة للجدل سواء منها جَدَلُ المؤمنين فيما بينهم ، أو

---

(١) انظر الآيات / ٣٠ ـ ٣٣ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٥ / من سورة ص .

(٣) انظر الآيات / ٥٦ / من سورة غافر ، و / ٧١ ـ ٧٦ / من سورة ص .

(٤) انظر الآيات / ٦٤ ـ ٦٥ / من سورة التوبة .

(٥) الآيات / ٥ ـ ٦ / من سورة الأنفال .

(٦) الآيات / ٥ / غافر ، و (٥٦ / الكهف .

جدل الكافرين مع المؤمنين ، يمكن للداعية الوقوف عليها وأخذ الدروس والعبر منها ...[1]

* * *

(١) راجع في ذلك كتاب « استخراج الجدل في القرآن الكريم » لابن الحنبلي ، تحقيق الدكتور : زاهر عواض الألمعي ، وكتاب « مناهج الجدل في القرآن الكريم » للدكتور : زاهر عواض الألمعي .

المبحث الرابع

« أسلوب القدوة الحسنة »

تعريفه :

القُدوة والقِدوة في اللغة : الأسوة ، يقال : فلان قدوة يُقتدى به . والقِدَةُ : المثال الذي يتشبه به غيره ، فيعمل مثل مايعمل [1] .

وقُيدت القدوة هنا (بالحسنة) لتخرج القدوة السيئة ، فقد يكون الشخص أسوة حسنة أو أسوة سيئة ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنةً حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها من بعده ، من غير أن يَنْقُصَ من أجورهم شيء ، ومن سَنَّ في الإسلام سنة سيئة ، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده ، من غير أن يَنْقُصَ من أوزارهم شيء »[2] .

والقدوة الحسنة في الإسلام تنقسم إلى قسمين :

أ ـ قدوة حسنة مطلقة : أي معصومة عن الخطأ والزلل ، كما هي في الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى :

﴿ لقَدْ كان لكم في رسول الله أُسوةٌ حَسَنَة ... ﴾ [3] وقال :

﴿ قَدْ كانت لكم أُسْوةٌ حَسَنَةٌ في إبراهيمَ والذين معه ...

---

(١) انظر « لسان العرب » مادة (قدو)(١٥/١٧١) و « المعجم الوسيط » (٢/٧٢٧) .

(٢) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (١٠١٧) .

(٣) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

إلى أن قال : لقد كان لكم فيهم أُسْوةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كان يَرجو الله واليومَ الآخر ... ﴾ [1] وقال :

﴿ أولئك الذين هَدى الله ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ [2] .

ب ـ وقدوة حسنة (مقيَّدة) أي بما شرعه الله عز وجل ، لأنها غير معصومة ، كما هي في الصالحين والأتقياء من عباد الله من غير الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام . فغير الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام قد يُقتدى بهم في أمور دون أخرى ، وذلك لاحتمال صدور تصرفاتهم عن ضعف بشري ، أو خطأ اجتهادي ، لذا كان الاقتداء بهم مقيَّداً بموافقة شرع الله ...

وبهذا يكون أسلوب القدوة الحسنة أسلوباً عاماً يشمل التأسي بكل من عمل عملاً صالحاً حسناً سواء كان نبياً رسولاً ، أو كان تابعاً للرسل الكرام ناهجاً نهجهم في عمله ...

أهميته :

تبرز أهمية أسلوب (القدوة الحسنة) من عدة أمور ، منها :

١ ـ جَعْلُ الله عز وجل لعباده أسوة عملية في الرسل والصالحين من عباده ، وعدم اكتفائه بإنزال الكتب عليهم ، فأرسل الرسل ، وقَصَّ على المؤمنين قصصهم وعرض سيرتهم ثم أمر باتباعهم ، والاقتداء بهم ، فقال :

---

(١) الآيات / ٤ ـ ٦ / من سورة الممتحنة .

(٢) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

﴿ أولئك الذين هَدَى اللهُ ، فَبِهُداهم اقْتَدِه ... ﴾ [1] .

٢ ـ إن من طبيعة البشر وفطرتهم التي فطرهم الله عليها : أن يتأثروا بالمحاكاة والقدوة ، أكثر مما يتأثرون بالقراءة والسماع ، ولاسيما في الأمور العملية ، ومواقف الشدة وغيرها ... وهذا التأثير فطري لا شعوري في كثير من الأحيان .

٣ ـ إن أثر القدوة عام يشمل جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، حتى الأمي منهم ، فبإمكان كل امرئ أن يحاكي فعل غيره ، ويقلده ولو لم يفهمه .

ومن هنا : كان فضل الصحبة للصحابة الكرام رضوان الله عليهم لايَعْدِ لُه شيء ، وكان إنكار الله عظيماً على من يخالف قوله عمله . قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لِمَ تَقُولونَ مالا تَفْعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تقولوا مالا تَفْعلون ﴾ [2] .

من خصائص أسلوب القدوة :

لأسلوب القدوة خصائص ومزايا عديدة ، منها :

١ ـ سهولتُه ، وسرعة انتقال الخير من المُقْتَدَىٰ به إلى المُقْتَدي ، لأن الأخذ بالشيء عملياً والتمسك به أكثر إقناعاً للمدعوين من الحديث عنه والثناء عليه ، فمجرد العمل بالخير وتطبيقه ، تحصل

---

(١) الآية / ٩٠ / من سورة الأنعام .

(٢) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

قناعة عند الآخرين بصلاحية هذا الخير والفعل للتطبيق ، وأنه ليس أمراً مثالياً مجرداً ... وهذا واقع مشاهد في حياة الناس .

٢ ـ سلامةُ الأخذ وضمانُ الصحة ، ولاسيما في الأمور الدقيقة العملية ، ومن هنا أكد عليه ﷺ في تعليمه أمته بعض أركان الإسلام كالصلاة والحج ، فقال في الصلاة : « وصلوا كما رأيتموني أصلي »[١] وقال في الحج : « خذوا عني مناسككم »[٢] .

بل إن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ صبيحة ليلة الإسراء ليعلمه كيفية الصلاة عملياً ، فاقتدى به ﷺ ، واقتدى الصحابة الكرام برسول الله ...[٣]

٣ ـ عُمقُ التأثير في النفس البشرية ، وسرعة استجابتها للأمور العملية أكثر من استجابتها للأمور النظرية ، ومن هنا أشارت (أم سلمة) رضي الله عنها على رسول الله ﷺ بالمبادرة إلى الحَلْق والتحلل ، ليقتدي به الناس عملياً ، وكان كما قالت رضي الله عنها [٤] .

وكان بعض الصحابة رضوان الله عليهم يُصلي بالناس وهو لايريد

---

(١) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٣١ و ٦٠٠٨) و « الفتح » (١١١/٢)(٤٣٨/١٠) .

(٢) الحديث ذكره في « جمع الفوائد » رقم (٣٣٧١) (٥٠٢/١) وقال عنه : للشيخين والنسائي .

(٣) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٢١) و « الفتح » (٤/٢ ...) و « صحيح مسلم بشرح النووي » (١٠٧/٥) ، و « السيرة النبوية لابن كثير »(١١٢/٢) .

(٤) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٢٧٣١ ـ ٢٧٣٢) و « الفتح » (٣٣٢/٥ و ٣٤٧) . وانظر « زاد المعاد » (٢٩٥/٣) .

إلا أن يُعلِّمهَم صلاة النبي ﷺ وسنته [1] .

ودعا رسول الله ﷺ يوم الفتح بإناء من لَبَنٍ أو ماء ، فشرب أمام الناس وأفطر ، فقال المفطرون لما رأوه للصوام : أفطروا [2] .

وما إلى ذلك من خصائص لاتخفى على الداعية الحكيم .

* * *

(١) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٧٧) و (٨٢٤) و (١٦٣/٢)(٣٠٣/٢) .

(٢) انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٤٢٧٧) و « الفتح » (٣/٨ ـ ٥) .

المبحث الخامس

« الخصائص العامة للأساليب الدعوية »

إن الخصائص العامة للأساليب الدعوية قد تشترك مع خصائص المناهج ، لأن الأساليب ـ كما سبق ـ هي كيفيات تطبيق المنهج ـ ومن هنا ، يمكن أن توصف الأساليب بما سبق معنا من خصائص المناهج وهي « الانضباط ، والتدرج ، والاستمرار) .

كما يمكن أن نضيف عليها خصائص يمكن أن تشاركها فيها المناهج من بعض الوجوه نظراً لهذا التلازم والترابط بين المناهج والأساليب ، فمن هذه الخصائص العامة :

١ ـ الفطرية :

ونعني بهذه الخصيصة : : انسجام الأساليب الدعوية مع الفطرة الإنسانية ، وذلك لأن الأساليب السابقة بأشكالها المتنوعة منها مايلامس قلب المدعو ويحرك عواطفه ، ويعد ركيزةً من ركائز المنهج العاطفي كأسلوب الموعظة الحسنة بجميع أشكالها ...

ومنها مايلامس عَقْل المدعو ، ويحرك فكره ، ويدعوه إلى التدبر والاعتبار ، ويُعدُّ ركيزةً من ركائز المنهج العقلي ، كأسلوب المجادلة بالحسنى ...

ومنها مايلامس الحِسَّ البشري ، ويدعو إلى المحاكاة والمشابهة ، ويُعدُّ ركيزةً من ركائز المنهج الحسي ، كأسلوب القدوة الحسنة ...

فالداعية الحكيم هو الذي يختار الشكل المناسب من أشكال الأساليب المتنوعة للمناهج المتعددة ، فيلبي في دعوته متطلبات الفطرة الإنسانية من جميع جوانبها كما فعل القرآن الكريم ، والرسول العظيم ﷺ .

٢ ـ التنوع :

ونعني بها : تعدد أشكال الأساليب الدعوية وتنوعها تنوعاً يغطي حاجات الدعوة ، ويلبي متطلبات الفطرة ،

وقد سبق معنا الحديث عن عدد من أشكال هذه الأساليب ، كنماذج عن الأساليب الدعوية الكثيرة ، التي يمكن أن تندرج تحت أسلوب من الأساليب التي تكلمنا عنها .

فالدعوة قد تحتاج إلى أسلوب القوة كما تحتاج إلى أسلوب اللين ، وقد تحتاج إلى أسلوب المواجهة بالخطأ وتعيينه ، كما تحتاج إلى أسلوب التعميم وعدم المواجهة ، فقد كان رسول الله ﷺ يقول أحياناً عند الإنكار « مابال أقوام يقولون كذا ، أو يفعلون كذا [1] ، وما إلى ذلك .

وكان يواجه أحياناً صاحب الخطأ فيقول : « مابال مقالة بلغتني

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (٦١٠١ و ٦١٠٢) و « فتح الباري » (٥١٣/١٠) ، وانظر « الأدب المفرد للبخاري » (باب من لم يواجه الناس بكلامه) رقم (٤٣٦ و ٤٣٧) ترتيب كمال يوسف الحوت .

عنكم ؟ ! وما إلى ذلك ...[1]

والداعية الحكيم هو الذي يحسن استخدام الأسلوب المناسب في الموقف المناسب ، فدائرة الاختيار بين الأساليب واسعة جداً لاتخفى على المتتبع لها .

٣ ـ التطور :

ونعني بها : عدم ثباتها على شكل واحد ، فإن الأساليب الدعوية تختلف من وقت إلى آخر ومن حال إلى حال وذلك بحسب المقتضيات والأزمان .

فقد يصلح أسلوب دعوي مع شخص معين في حالٍ معينة أو عمر معين ، فإذا استمر المدعوُّ على واقعه ، ولم يفده ذلك الأسلوب ، كان على الداعية أن يغير من أسلوبه بما يتناسب مع حال المدعو ، ويطوره إلى مايراه أصلح له .

فقد يتطور الأسلوب الواحد من ترغيب إلى ترهيب ، أو من موعظة حسنة إلى هجر ، ومن هجر إلى ضرب أحياناً كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة :

﴿ واللاّتي تَخافون نُشوزَهُنَّ ، فَعِظُوهُنَّ ، واهْجروهُنَّ في المضاجِع ، واضْربوهُن ... ﴾[2] .

وقد يتطور الموقف مع العدو من أسلوب المهادنة والصلح إلى

---

(١) انظر « صحيح البخاري » رقم (١٩٧٥) و (٥٠٦٣) و « فتح الباري » (٢١٧/٤ و ٢١٨) و (١٠٤/٩) و « صحيح مسلم » (١١٥٩ و ١٤٠١ و ١٥٥٧) .

(٢) الآية / ٣٤ / من سورة النساء .

أسلوب المواجهة والقتال ، وقد يتطور تطوراً عكسياً من القتال إلى المهادنة ، وذلك بحسب أحوال الدعاة والمدعوين ...

كما قد يتطور أسلوب تطبيق الشورى من شكل إلى شكل ، فمن شورى فردية ، إلى شورى جماعية ، ومن شورى مُعْلِمةٍ إلى شورى مُلزِمَةٍ وهكذا بحسب الأحوال ...

كما تتطور أساليب التجارة والبيع والشركات من عصر إلى عصر ، فيقبل أي شكل جديد منها مادام مندرجاً تحت الأحكام الشرعية الثابتة ، لايصادم مقصداً شرعياً ولايؤدي إلى مفسدة ...

والأصل في الأساليب الدعوية ـ ماعدا أساليب العبادات ـ اجتهادية متطورة ، يمكن للدعاة أن يُحَسِّنوا منها ويطوروها بحسب مقتضيات عصرهم ، ويكفي دليلاً على ذلك عمل الخلفاء الراشدين ، والصحابة الكرام ، والسلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية ...

فقد تطور أسلوب حفظ القرآن من حفظه في الصدور وعلى السطور مُوَزَّعاً ، إلى جمعه كاملاً في زمن أبي بكر رضي الله عنه ، ثم إلى توحيد المصاحف زمن عثمان رضي الله عنه ، ثم إلى تنقيطه وشكله فيما بعد .

كما تطور حفظ السنة من أسلوب حفظها وكتابتها من قبل بعض الصحابة رضوان الله عليهم ، إلى الاهتمام بتدوينها وجمعها كاملة ، وتمييز صحيحها من سقيمها ، والتدقيق في أحوال رواتها وهكذا ...

والعجب ممن يقف على منهج السلف الصالح في تطوير أساليب حفظ القرآن والسنة ، ثم يقف جامداً على أساليب دعوية أخرى في

الحركة والدعوة ، لايفكر بتطويرها ، ويتحرج من تغييرها وكأنها ثوابت شرعية في نظره ! !

وذلك في الوقت الذي طور فيه الأعداء من أساليبهم ، وتفننوا في تنويعها وتشكيلها ، واستوعبوا حياة الناس بها ! !

ولو عرف هؤلاء حقيقة دينهم ، وخصائص دعوتهم ، لكانوا أسبق الناس إلى تحقيق الأصالة المعاصرة في حياتهم ...[1]

إلى غير ذلك من خصائص عامة [2] .

* * *

(١) راجع بحث « الأصالة والمعاصرة خصيصتان من خصائص الدعوة الإسلامية » للمؤلف ، نشر في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ العدد الأول عام ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م ، وراجع كتاب « منهج الدعوة إلى الله » لأمين أحسن إصلاحي ص : (٥٧ ـ ٦١) .

(٢) راجع كتاب « فقه الدعوة في إنكار المنكر » لعبد الحميد البلالي ، نشر دار الدعوة ـ الكويت ، وكتاب « طرق الدعوة الإسلامية » للدكتور أحمد بن محمد العدناني .